الحلول والاتحاد

بين ابن عربي والحلاج

أبو عائشة محمد بن سميح

الحلول والاتحاد

بين ابن عربي والحلاج

أبو عائشة محمد بن سميح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد:

فلاشك أن الوقوف على حقيقة الأقوال المنسوبة لأصحابها ، وبيان صحة ذلك من عدمه من الأهمية بمكان في بيان مذهب أولئك ، ومن ذلك ما نُسب لاثنين من أعلام التصوف ، وهما الحلاج وابن عربي من القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، ومع صعوبة الموضوع إلا أن طريقة أستاذنا الدكتور في تناول المادة والتي سبقها مادة فلاسفة المشرق في الفصل الأول جعلت الباحث على وعي بكيفية تناول الموضوع حسب استطاعته ،

وقد جمعت بين المنهج النقدي ، والمنهج التحليلي للوصول لنتيجة موضوعية مبنية على مقدمات صحيحة . وقد جاء البحث في تمهيد وأربعة مباحث على الوجه التالي:.

١-التمهيد في مطلبين:

- المطلب الأول: التعريف بالحلاج .
- المطلب الثاني : التعريف بابن عربي.

٢-المبحث الأول :

- المطلب الأول : المعنى الاصطلاحي واللغوي للاتحاد والحلول، وعلاقته بوحدة الوجود.
- المطلب الثاني : أقسام الحلول والاتحاد.

٣-المبحث الثاني:

- المطلب الأول: الحلول عند الحلاج.
- المطلب الثاني : مدى صحة نسبة ذلك له.

٣-المبحث الثالث:

- المطلب الأول : الاتحاد ووحدة الوجود عند ابن عربي.
- المطلب الثاني : مدى صحة نسبة ذلك له.

٤-المبحث الرابع :نقد علماء التصوف السني للحلول والاتحاد.

ثم أتبعت ذلك بذكر مراجع ومصادر البحث سائلاً الله تعالى التوفيق والسداد .

التمهيد

•المطلب الأول: التعريف بالحلاج :

هو أبو المغيث الحسين بن منصور بن مَحْمَى البيضاوي – نسبة إلى مدينة البيضاء من مدن مقاطعة فارس بإيران ، الحَلَّاج ، حيث كان أبوه يحترف حَلج القطن ونسجه .ولد الحلاج في نحو سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٧م ، وكان جده "مَحْمى" مجوسياً.

قضى الحلاج صباه يتعلم في كتاتيب واسط بالعراق بعد انتقل أبوه إليها ، وقصد في أول شبابه إلى تُستَر ليصحب سهل بن عبد الله التستري أحد الصوفية البارزين في القرن الثالث الهجري ، وقد دامت هذه الصحبة سنتين ، انتقل بعدها للبصرة ليصحب عمرو بن عثمان المكي الصوفي لمدة سنة ونصف نال خلالها إعجاب شيخه الجديد . في هذه الأثناء أراد الحلاج أن يتزوج فبنى بأم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع منافس عمرو بن عثمان على زعامة الصوفية بالبصرة ، فوقعت خصومة شديدة بين الشيخين لأن كلا منهما يريد استخلاص الحلاج لنفسه ، فضاق صدر الحلاج بذلك ، وقصد الشيخ الجنيد بن محمد البغدادي يستشيره في ذلك ، فأمره بالسكون والمراعاة .

ترك الحلاج البصرة قاصدا مكة لأداء فريضة الحج ، وجاور سنة كاملة قضاها في ممارسة أشق الرياضات الصوفية من الاقتصار على الخبز والماء والتعرض لأشعة الشمس اللافحة في جبال مكة !!([١])

بعد عودة الحلاج من مكة بدأ حياته الوعظية ووثق من نفسه حتى حد الإفراط فكان يشطح في عباراته ويبالغ في مواجيده ولا يتحرى الحيطة في أفعاله مما أثار ثائرة الصوفية ، خاصة شيخهم الجنيد ، فكان من ثمرة ذلك أن هاجمه شيوخه ، ففقد شيخه عمرو بن عثمان المكي وشيخه الجنيد .

[١] - في تاريخ بغداد (٦٨٨/٨) ط. بشار عواد :" دخل الحسين بن منصور إلى مكة، وكان أول دخلته، فجلس في صحن المسجد سنة لا يبرح من موضعه إلا للطهارة أو للطواف، ولا يبالي بالشمس ولا بالمطر، وكان يحمل إليه كل عشية كوز ماء للشرب، وقرص من أقراص مكة، فيأخذ القرص ويعض أربع عضات من جوانبه، ويشرب شربتين من الماء شربة قبل الطعام، وشربة بعده، ثم يضع باقي القرص على رأس الكوز فيحمل من عنده...، وكان يجلس على جبل فبيس في الشمس ، والعرق يسيل منه على تلك الصخرة !!"

ضاق الحال بالحلاج بسبب خصومة الصوفية له ، فاتجه لمكة مرة أخرى ، ولم يعد بعدها للعراق مباشرة بل اتجه للهند وهناك كون مذهبا وأسلوبا لنفسه يخالف به صوفية زمانه حتى إن ولده أحمد بن الحلاج قد لاحظ أن أباه قد تغير كما يذكر ذلك الخطيب البغدادي في تاريخه ، وقد كانت هذه الرحلة نقطة فاصلة في حياته توصل من خلالها للفكرة التي يؤمن بها والمنهج الذي ينبغي أن يُتبع لتحقيقها ، فمذهبه الجديد يقوم على:

تغليب جانب الروح على الجسد برياضة النفس بأشد ما يكون من الرياضات بهدف شحنها بالروح الإلهية!! وتمكينها من تقبل الطاقة الربانية التي يعجز البشر العادي عن تحمل إشعاعها في نفسه ليكون مآله أن يتعلم من الله كما تعلم آدم عليه السلام الأسماء كلها ، وكما مكن اللهُ المسيحَ عليه السلام من إحياء الموتى ، وكما أظهر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم القرآن معجزته الكبرى . ورأى الحلاج أن صاحب الدعوة ينبغي أن يمضي في دعوته دون تراجع أسوة بإبليس الذي لم يبال بغضب الله عليه ومضى فيما أراد ! وأسوة كذلك بفرعون الذي لم يستجب لنداء موسى عليه السلام ([1])،وفي هذا يقول الحلاج كما في الطواسين :

"تناظرت مع إبليس وفرعون في الفتوة فقال إبليس: إن سجدت سقط عني اسم الفتوة، وقال فرعون: إن آمنت برسوله سقطت من منزلة الفتوة، وقلت أنا أيضـًا: إن رجعت عن دعواي وقولي سقطت من بساط الفتوة، وقال إبليس: أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ [الأعراف: ١٢] حين لم ير غيراً، وقال فرعون. مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي [القصص: ٣٨] حين لم يعرف في قومه من يميز بين الحق والباطل، وقلت أنا: إن لم تعرفوه- يعني الله!- فاعرفوا آثاره وأنا ذلك الأثر، وأنا الحق، لأني ما زلت أبداً بالحق حقـًا، فصاحباي وأستاذاي إبليس وفرعون!!([2])وإبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه، وفرعون أغرق في اليم وما رجع عن دعواه ولم يقر بالواسطة أبداً، وإن قتلت أو صلبت أو قطعت يداي ورجلاي ما رجعت عن دعواي!!"([3])

[1] - وهذا إن دل على شيء ، دلَّ على شِدَّة انحراف الحلاج عن جادة التصوف السني إلى التصوف الفلسفي ، بل الغلو فيه .

[2] - أيقول هذا عاقل يعي ما يخرج من رأسه !

[3] - طاسين الأزل والالتباس من كتاب الطواسين ص ٥١، ٥٢ نقلا عن الأعمال الكاملة للحلاج (١٩٢) ط. مكتبة الإسكندرية .ت. قاسم عباس

في سبيل نشر دعوته عمد الحلاج إلى العمل السري يبحث خلال ذلك عن حلفاء وأنصار له بعد أن فقد مودة جُلِّ شيوخ الصوفية ، فمرة يتصل بالعلويين لخصومتهم مع العباسيين ، وأخرى يتجه إلى الشيعة الاثنا عشرية ، بل يؤلف كتابا في أئمتهم ليستميلهم ، وهو كتاب " الإحاطة والفرقان" نسق فيه الأئمة نسق الأهلة وصلا بقوله تعالى " إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً"، ولما يئس الحلاج منهم تحول إلى القرامطة أصحاب المذهب الإسماعيلي الباطني وتأثر بهم ؛ فصار يدعو لمذهب جامع لا يضاد عقيدة ، وإنما يقبل كل شيء ثم يؤوله تأويلا يضعه في عقيدته التي استقاها من آراء الهند والفرس والمتكلمين والفلاسفة والصوفية ، وهذا يفسر لنا ما نُسب إليه من شطحات ومخاريق .

بعد طول بحث ومطاردة للحلاج تم القبض على الحلاج مِن قِبل حامد بن العباس وزير الخليفة المقتدر سنة ٣١١هـ ووجهت له تهمة ادعاء الألوهية ، وسيأتي من كلامه ما يبين سبب هذا الاتهام ، وكان تنفيذ حكم الإعدام مقترنا بصورة لم تجر العادة بها ؛ فقد اسُتعمل فيه السوط ، والسيف ، والصلب ، والنار ، فضرب نحوا من ألف سوط ، وقطعت يداه ورجلاه ، وضربت عنقه ، وأحرقت جثته ، وألقي رمادها بنهر دجلة ، وقد توقع قتله مصلوبا ، فقال في ذلك :

ألا أبلغ أحبائي بأني . ...ركبت البحر وانكسر السفينة

على دين الصليب يكون موتي ....ولا البطحا أريد ولا المدينة [1]

وقد تأول جماعة من الصوفية هذا البيت ، فنقل الشعراني في لطائف المنن عن أبي العباس المرسي قولَه :" وما نقل عنه يصح تأويله ، نحو قوله :...وذكر البيت ، ثم قال المرسي: ومراده أنه يموت مصلوبا." وهذا ما تنبأ به الجنيد والشبلي من شيوخه.[2]

فالذي يراه الباحث أن الحلاج قد جاء بمخاريق كانت كافية لإدانته ؛ إذ كان الرجل يستعجل تلذذه بالعذاب ، ويأتي بتلك الأفكار المتطرفة التي تشي بالتأثير الخارجي الغريب عن طبيعة التصوف السني[1]

---

[1] - ديوان الحلاج (٣٢٤) البيتين ٤٤٣، ٤٤٤ ط. دار الجمل . بغداد الثانية ٢٠١٢م

[2] - مصادر الترجمة: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، شخصيات قلقة في الإسلام لعبد الرحمن بدوي ،مقدمة ديوان الحلاج بتحقيق كل من الأستاذ لويس ماسينيون ،والدكتور كامل مصطفى الشيبي

•المطلب الثاني : التعريف بابن عربي[٢]

هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي المرسي الحاتمي ، من ولد عبد الله بن حاتم أخي عدي بن حاتم ، الملقب بمحيي الدين ابن العربي الصوفي ، واشتُهِر بالشيخ الاكبر ،وقد درج علماء المشرق على ذكر ابن عربي بالتنكير تفريقا بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي المالكي .

ولد ابن عربي في مدينة مرسية من بلاد الاندلس سنة ٥٦٠ هـ ، وانتقل في سن الثمانية إلى إشبيلية فقضى بها ثلاثين سنة قبل رحيله لبلاد المشرق سنة ٥٩٨ هـ . نشأ ابن عربي في أسرة صوفية ، إلا أن تصوفهم كان تصوف سلوك لا تصوف فلسفي باطني.

كان ابن عربي شغوفا بالعلم والمعرفة والقراءة على عدد من الشيوخ في فنون عدة ، فاخذ بحظ وافر من علوم القراءات واللغة والأدب والحديث والفقه ، وتلقى على عدد من علماء الاندلس والمغرب ، ويبدو أنه لم يسلك مسلك التصوف في السنوات الأولى من شبابه ن بل كان مولعـًا بالأدب . ويمكن القول بأن بداية الطريق الصوفي لابن عربي كانت سنة ٥٨٠ هـ عندما تخلى عن خدمة أمير دولة الموحدين ليتجه لشيوخ الصوفية ليملا الفراغ الروحي كما ينقل عنه ابن الشعار، والتقى في ذلك الوقت بابن رشد الفيلسوف حيث كان والده من أصدقاء ابن رشد .

كان لرحلات ابن عربي أكبر الأثر في التقائه بشيوخه وذيوع صيته وأخباره بين الناس ، فكانت له رحلات أندلسية مغربية ورحلات مشرقية التقى فيها بكثير من شيوخ الشرع والتصوف من أمثال أبي جعفر الرعيني ، ويوسف بن يخلف الكومي العبسي ، وشمس مرشانة الزيتون الملقبة بأم الفقراء ، وغيرهم كثير أثبتهم في رسالته روح القدس ، وفي الفتوحات المكية، وتلقى عنه صدر الدين القونوي الرومي الذي صحبه ولازمه وتتلمذ عليه ، حتى إن ابن عربي تزوج بأمه ، وكذلك إسماعيل بن سودكين شمس الدين النوري

---

[١] - أبو اليزيد العجمي : في التصوف الإسلامي (٦٠) ط. دار السلام . القاهرة .الأولى .١٤٢٨هـ

[٢] - مصادر الترجمة : نفح الطيب (٧- ١٨٨)، ابن عربي حياته ومذهبه لعبد الرحمن بدوي ، اليواقيت والجواهر للشعراني(٧) ، محيي الدين ابن عربي سلطان العارفين لعبد الحفيظ القرني ، مقدمة تحقيق كتاب " القول المنبي عن ترجمة ابن العربي للسخاوي " رسالة ماجستير . جامعة أم القرى . مكة المكرمة.

الحنفي ، والقاضي يحيى بن محيي الدين أبي المعالي القرشي الدمشقي الشافعي ، وغيرهم.

كان ابن عربي ظاهري المذهب في العبادات ، باطني النظر في الاعتقادات ترجع جذور اعتقاده إلى جهتين :

- جهة فلسفية نظرية : اجتمعت فيها آراء أرسطو بالمذهب الأفلاطوني الذي تضمنته رسائل إخوان الصفا ذات التأويل الباطني مع مذاهب الفلاسفة الإسلاميين الذين مزجوا بين الآراء الفلسفية والمصطلحات الكلامية كابن سينا والفارابي .
- جهة صوفية يأتي في مقدمتها نصوص متقدمي الصوفية الأندلسيين كأبي عبد الله الشوذي ، وابن دهَّاق مع أقوال الصوفية المشارقة كالحلاج والحكيم الترمذي ممن شكَّل تجربة استفاد منها ابن عربي في تشكيل مذهبه القائم على القول بالظاهر والباطن كما بين ذلك في صدر الفتوحات المكية ، وكذلك التأويل الفلسفي للنصوص ، مما أدى لوقوع خلاف بين العلماء في حال ابن عربي ، فرفعه قوم إلى درجة الصديقين ، وأنزله آخرون لدَرَكِ المتزندقين ، والوقوف على قول فصل فيه يحتاج لاستقراء أقواله في سائر كتبه.

توفي ابن عربي سنة ٦٣٨هـ في دمشق ، وقد قارب الثمانين عاماً ، ودُفن بسفح جبل قاسيون بدمشق.

المبحث الأول

•المطلب الأول : المعنى اللغوي و الاصطلاحي للحلول والاتحاد، وعلاقته بوحدة الوجود.

الحلول لغة : النزول ، مصدرٌ للفعل حَلَّ يحُلُّ حلّاً وحلولاً ، إذا نزل بالمكان ، ومنه قوله تعالى" أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دارِهِمْ" ، قال ابن منظور : "حَلَّ بالمكان يَحُلُّ حُلولاً ومَحَلاًّ وحَلاًّ وحَلَلاً بفك التضعيف نادر وذلك نزول القوم بمَحَلَّة وهو نقيض الارتحال" ا.ﻫ

والحلول كذلك مأخوذ من حلَّ عقد الحبال عند إنزال الأحمال : أي فتحها ونقضها (١)

والاتحاد لغة : أن يصير المتعدد واحدا ، مصدرٌ من الفعل اتحد يتحد اتحاداً، إذا صار الشيئان أو الأشياء شيئاً واحدا ، ومادة "وحد" كذلك تدل على الانفراد ، والواحد المنفرد بذاته عديم المثل والنظير.(٢)

وأما المراد بالحلول والاتحاد اصطلاحا فلاشك أنهما عقيدتان ظهرت كل واحدة منهما أول ما ظهرت في الديانات والفلسفات الوثنية القديمة كالبوذية والبراهمة ، وكذلك بين النصارى الذين حرّفوا دين المسيح عليه السلام حيث ادعوا حلول الله تعالى أو اتحاده به ، كما ظهرت كذلك في العالم الإسلامي في بعض غلاة الطوائف ، وبخاصة من أظهر التشيع وغالى في محبة آل البيت ، والفرق بينهما أنَّ:

• الحلول عند من يعتقده :" نزول الذات الإلهية في الذات البشرية ودخوله فيها ، فيكون المخلوق ظرفا للخالق بزعمهم ! "وهو نوعان: حلول سَرَياني، وحلول جواري.

يقول الجرجاني رحمه الله: "الحلول السرياني: عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد في الورد؛ فيُسمى الساري حالاًّ، والمسري فيه محلاًّ.

الحلول الجواري: عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر كحلول الماء في الكوز"

---

١ - مادة حلل : تهذيب اللغة (٣/٤٩٢)، ولسان العرب (١١/١٦٣) ، والمصباح المنير (١٤٧)

٢ - مادة وحد : تهذيب اللغة (٢/١٩٦) ، ولسان العرب (٣/٤٤٦)

هذا هو الحلول: إثبات لوجودين، وحلول أحدهما في الآخر.[1]

• والاتحاد عند من يعتقده : اختلاط وامتزاج الخالق بالمخلوق ، فيكونان بعد الاتحاد ذاتـًا واحدة!

قال الجرجاني: وهو شهود الوجود الحق الواحد المطلق، الذي الكل موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجودًا به، معدومًا، بنفسه، لا من حيث إن له وجودًا خاصًا اتحد به، فإنه محال. وقيل: الاتحاد امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئًا واحدًا"[2]

مما سبق نستطيع أن نقف على الفرق بين الحلول والاتحاد ، وذلك يتلخص فيما يلي:

١ – أن الحلول إثبات لوجودين، بخلاف الاتحاد فهو إثبات لوجود واحد.

٢ – أن الحلول يقبل الانفصال، أما الاتحاد فلا يقبل الانفصال.

ولهذا؛ فإن القائلين بالحلول غير القائلين بالاتحاد.

هناك أمثلة كثيرة يتبين بها الفرق بين الحلول والاتحاد؛ فالسُّكَّر إذا وضعته في الماء دون تحريك فهو حلول؛ لأنه ثَمَّ ذاتان، أما إذا حركته، فذاب في الماء صار اتحاداً؛ لأنه لا يقبل أن ينفصل مرة أخرى.

أما لو وضعت شيئـًا آخر في الماء كأن تضع حصاة فهذا يسمى حلولاً لا اتحاداً؛ لأنها أصبحت هي والماء شيئين قابلين للانفصال.

مثال آخر يجتمع فيه الأمران: ورق الشاي التي توضع في الماء المغلي؛ فبمجرد وضعها وتحريكها يتغير لون الماء ويصبح شايـًا، لا ماءاً.

فهو بهذا الاعتبار اتحاد؛ لأن الماء والشاي لا يمكن أن ينفصلا.

وورقة الشاي يمكنك رفعها وفصلها؛ فالحالة بهذا الاعتبار حلول لا اتحاد.[3]

---

[1] - الجرجاني : التعريفات(٩٢) ط. دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

[2] - السابق (٩)

[3] - محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، مصطلحات في كتب العقائد(٤١) ط. دار ابن خزيمة. بيروت. الأولى

وأما وحدة الوجود لغة فقد سبق بيان معنى الوحدة عند الكلام عن الاتحاد ،وأما الوجود لغة فهو الثبوت والحصول ، مصدر من " وجد الشيء"، ويطلق هنا عن الوصف الذي تشترك فيه الكائنات ويميزها عن المعدومات ، والوجود خلاف العدم .

ووحدة الوجود أو الأحدية عند أهل الوحدة من الصوفية –كما يسمونها –: مرتبة ظهور الحق بمرتبة تفريده في الوجود حيث لا وجود لشيء معه سبحانه وتعالى ، فهي تجلية لذاته بذاته عن ذاته مع محو جميع النسب من الأسماء والصفات والكثرة والغيرية ."([1])فوحدة الوجود بأوجز عبارة : أن وجود الخالق عين وجود المخلوق!!

فالقائلون بوحدة الوجود يعتقدون أن الله تعالى يظهر ويتجلى في صور المخلوقات المختلفة ، فهو عندهم الظاهر في جميع المظاهر ، لا على معنى أنه يتحد أو يحل في مخلوق بل " إن الله ما يتجلى إلا على نفسه ، فلا عبد ولا رب ؛ إذ بانتفاء اسم المربوب انتفى اسم الرب ، فما ثمَّ إلا الله وحده!"(٢)

والصوفية القائلون بوحدة الوجود ينكرون ثنائية الوجود ، وفي هذا يقول عبد الغني النابلسي وهو من رؤوسهم:

ليس في الوجود كما يقال اثنان ...... حق وخلق ، إذ هما شيئان

هذا المقال عليه قُبح عقيدة .... عند المحقق ظاهر البطلان (٣)

ومن هنا يتضح لنا العلاقة بين الحلول والاتحاد من جهة ووحدة الوجود من جهة أخرى، فبعض القائلين بوحدة الوجود يرون أن القول بالحلول والاتحاد غلط وباطل ، لأن الحلول يستلزم حالاً ومحلاً ، والاتحاد يستلزم شيئين يحصل اتحادهما ، وهذه اثنينيَّة ، وهي مرفوضة منتفية عندهم ؛ فإذا كان الوجود واحدا فلا حلول ولا اتحاد (٤)

قال ابن عربي :"والقائلون بالحلول غير موحدين ، لأنهم أثبتوا أمرين حال ، ومحل "(٥)

وقال: "واحذر من الاتحاد في هذا الموضع ، فإن الاتحاد لا يصح "(١)

---

[1] - أيمن حمدي: قاموس مصطلحات الصوفية (٤٥) ط. دار قباء . القاهرة. تاريخ النشر ٢٠٠٠م

[2] - الجيلي :الإنسان الكامل (٦٢) ط. دار الشروق . القاهرة.

[3] - ديوان الحقائق للنابلسي (١٧٠/٢)

[4] - دغش العجمي (٣٦) ابن عربي : عقيدته وموقف علماء المسلمين منه. ط. مكتبة أهل الأثر. الكويت . ط. الثانية١٤٣٤ هـ

[5] - الفتوحات المكية(٣٦٦/١٢)

قال شيخ الإسلام : "وإن كان محققو هؤلاء لا يرضون بالحلول الذي يقتضي اثنين حالاًّ ومحلاًّ بل عندهم ما ثم إلا وجود واحد ومنهم من يقول هو الوجود المطلق وإن كان المطلق لا وجود له في الخارج إلا معينًا مخصَّصًا فيكون هو وجود المخلوقات بعينه ومنهم من يصرح بذلك فيقول هو عين الموجودات لا يفرق بين ثبوت ووجود ، ولا بين مطلق ومعين فهؤلاء يجعلونه نفس المخلوقات."[2]

وبرغم هذا النفي من أهل الوحدة للحلول والاتحاد ، إلا أنهم قد استخدموا اسمي الحلول والاتحاد في كلامهم ؛ فابن عربي يقول :" المُخَاللة لا تصح إلا بين الله وبين عبده ، وهو مقام الاتحاد."[3]

ويقول الحلاج :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا.......نحن روحانِ حللْنا بدنـًا

وهذا كله لا شك تناقض واضطراب منهم سببه انحرافهم عن دين الإسلام الذي جاء به النبي الأمين صلى الله عليه وسلم ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وأقوال هؤلاء شر من أقوال النصارى وفيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى ؛ ولهذا يقولون بالحلول تارة وبالاتحاد أخرى وبالوحدة تارة فإنه مذهب متناقض في نفسه ؛ ولهذا يلبسون على من لم يفهمه ."[4]

•المطلب الثاني : أقسام الحلول والاتحاد.

لخص شيخ الإسلام الأقوال في الحلول والاتحاد مبينـًا حقيقتها ، فقال :

" من جعل الرب هو العبد حقيقة؛ فإمَّا أن يقول بحلوله فيه؛ أو اتحاده به وعلى التقديرين فإمَّا أن يجعل ذلك مختصـًا ببعض الخلق كالمسيح أو يجعله عاما لجميع الخلق. فهذه أربعة أقسام:

---

[1] - الأحدية (٤٧)
[2] - بيان تلبيس الجهمية (٤٦/٥) ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. الأولى.١٤٢٦هـ
[3] - الفتوحات(٣٧١/١١)
[4] - الفتاوى (٣٦٨/٢)

•الأول: هو الحلول الخاص وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول: إن اللاهوت حلَّ في الناسوت وتدرَّع به كحلول الماء في الإناء، وهؤلاء حققوا كفر النصارى؛ بسبب مخالطتهم للمسلمين، وكان أولهم في زمن المأمون؛ وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من غالية هذه الأمة كغالية الرافضة الذين يقولون: إنه حلَّ بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته وغالية النساك الذين يقولون بالحلول في الأولياء ومن يعتقدون في الولاية أو في بعضهم: كالحلاج ويونس والحاكم ونحو هؤلاء.

•والثاني: هو الاتحاد الخاص وهو قول يعقوبية النصارى وهم أخبث قولا وهم السودان والقبط يقولون: إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء، وهو قول من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين إلى الإسلام.

•والثالث: هو الحلول العام وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين وهو قول غالب متعبدة الجهمية؛ الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان؛ ويتمسكون بمتشابه من القرآن كقوله: "وهو الله في السماوات وفي الأرض" وقوله: "وهو معكم" والرد على هؤلاء كثير مشهور في كلام أئمة السنة وأهل المعرفة وعلماء الحديث.

•الرابع: الاتحاد العام وهو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين:

• من جهة أن أولئك قالوا: إن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكون متحدين وهؤلاء يقولون: ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره.

• والثاني من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظَّموه كالمسيح وهؤلاء جعلوا ذلك ساريا في الكلاب والخنازير والأقذار والأوساخ، وإذا كان الله تعالى قد قال: "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم.." الآية. فكيف بمن قال: إن الله هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجانين والأنجاس والأنتان وكل شيء؟! [1]

---

[1] - الفتاوي (٢/١٧١-١٧٢)

المبحث الثاني

•المطلب الأول: الحلول والاتحاد عند الحلاج

يعتبر الحلاج من كبار أئمة الصوفية الذين نُسب إليهم القول بالحلول في الكثير من أشعارهم وكلامهم:

▪ فقد نقل أبو الفيض المنوفي(ت:١٣٩٢هـ) عن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الكريم الحلواني ، وهو أقرب خدام الحلاج أنه سمع الحلاج يوما يدعو بعد الصلاة يقول:" يا إله الآلهة ، ورب الأرباب ، ويا من لا تأخذه سنة ، رُد إليَّ نفسي ؛ لئلا يفتتن بي عبادك ، يا من هو أنا وأنا هو ! ولا فرق بين إنيتي وهويتك إلا الحَدث والقِدم ، ثم رفع رأسه ، ونظر إلي ، وضحك في وجهي ضحكات ، ثم قال لي : يا أبا إسحاق ، أما ترى إلى ربي ضرب قِدمه في حَدثي حتى استهلك حدثي في قدمه ، فلم تبق لي صفة إلا صفة القِدم ، ونطقي من تلك الصفة ، فالخلق كلهم أحداث ينطقون عن حدث ، ثم إذا نطقت عن القدم ينكرون علي ، ويشهدون بكفري ، سيسعون إلى قتلي ، وهم في ذلك معذورون ، وبكل ما يفعلون مأجورون ."(١)

إذا نظرنا في النص السابق نجد فيه أن الحلاج ادعى أنه لا فرق بينه وبين الله ، وأنه هو الله ، والله هو الحلاج ، ثم ادعى أن تجرد من صفات البشر الحادثة واتصف بالصفات الإلهية ، ولم يبق له إلا صفة القدم!!

•ويقول الحلاج مؤكدا حلول الله في مخلوقاته :

سبحان من أظهر ناسوته .... سر مسني لاهوته الثاقب

حتى بدا في خلقه ظاهرا ....في صورة الآكل الشارب(٢)

في هذين البيتين يصرح الحلاج أن الله تعالى يظهر في بعض مخلوقاته في صورهم الأصلية وطباعهم من الأكل والشرب ، وغيرها من صفات البشر ؛ فالجميع حَلَّت فيه الذات الإلهية !يقول الدكتور نيكلسون مبينا مذهب الحلاج في التصوف :

---

١ - أبو الفيض المنوفي: جمهرة الأولياء(١٧١/٢) مطبعة المدني . القاهرة .

٢ - شرح ديوان الحلاج (١٦٥) ط. دار الجمل . بغداد .

"ليس شطحة جذب ، وإنما هي نظرية متكاملة في الإلهيات ، وهي تؤكد ثنائية الطبيعة الإلهية في اللاهوت والناسوت ، وهما الاصطلاحان اللذان أخذهما الحلاج عن الفلسفة المسيحية عن طريق السريان الذين استعملوها للدلالة على طبيعة المسيح ...فالوحدة التي يدعو إليها الحلاج إذن وحدة الشهود لا وحدة الوجود "([1])

• ويقول أيضا:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ......ليس في المرآة شيء غيرنا

لا أناديه ولا أذكرهـــــــــــ..... إنَّ ذِكري وندائي يا أنا

يا سر سري تدق حتى......... ......تخفى على وهم كل حي

يا جملة الكل لست غيري .... فما اعتذاري إذن إلي

أنا أنت بلا شك........................ .....فسبحانك سبحاني

فتوحيدك توحيديــــــــــ.....................وعصيانك عصياني

أنا الحق والحق للحق حق......... ..... لابسٌ ذاته فما ثَمَّ فرق([2])

إذا نظرنا لهذه الأبيات لا نجد أصرح منها في إثبات قول الحلاج بالحلول ، فما ثم فرق بين الخالق والمخلوق ، فالله –تعالى الله عن ذلك– عند الحلاج جملة كل شيئ موجود في هذا الكون ، وتسبيحه تسبيح للحلاج إذ لا فرق بينهما !([3])

• ويقول : يا كلَّ كلِّي ويا سمعي ويا بصري ...... يا جملتي وتباعيضي وأجزائي

•ويقول : مُزِجتْ روحك في روحي كما ....تُمزج الخمرة بالماء الزلال

فإذا مسَّك شيء مسنيــــــــــ............فإذا أنت أنا في كل حال

---

[1] - أرنولد نيكلسون : الصوفية في الإسلام (١٤٠) ط. مكتبة الخانجي بالقاهرة. ترجمة: نور الدين شريبه

[2] - ديوان الحلاج (٣٢٧)

[3] - يقول المعري في رسالة الغفران (٤٥٧) تحقيق د. عائشة عبد الرحمن :"وحُكي عن رجل منهم أنه كان يقول في تسبيحه : سبحانك سبحانك سبحاني! وهذا هو الجنون الغالب؛ إذ من يقول هذا القول معدود في الأنعام."

•المطلب الثاني : مدى صحة نسبة القول بالحلول للحلَّاج

إذا كان موقف الصوفية الذين عاصروا الحلاج واضحا منذ البداية حيث أخرجوه من دائرتهم وطريقتهم ، فإن ذلك كان لظهور السنة ونُفرة الناس مما يخالفها ،لكن الموقف منه بعد ذلك مرَّ بمراحل مختلفة:

• المرحلة الأولى : مرحلة الرفض المطلق ، وهذه كانت منذ الطبقة التي عاصرت الحلاج كالجنيد والشِّبلي ، ومن تأثر بها ، وإن كان هناك من يخالفهم ممن عدُّوه منهم ، وعَدُّوا ما عنده كرامةً وفضلاً ، ومن هؤلاء أبو العباس بن عطاء البغدادي ، ومحمد بن خفيف الشيرازي ، وإبراهيم بن محمد النصراباذي وغيرهم ممن صحح حاله ودوَّنوا كلامه ، حتى قال ابن خفيف : الحسين بن منصور عالم رباني .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : سمعت إبراهيم بن محمد النصراباذي وعوتب في شيء حُكي عن الحلاج ، فقال للذي عاتبه : إن كان بعد النبيين والصِّدِّيقين موحِّد فهو الحلاج! وقال أيضا : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت الشِّبلي يقول : كنت انا والحسين بن منصور شيئاً واحداً ، إلا أنَّه أظهَر وكتمتُ.[1]

• المرحلة الثانية :[2] وهي مرحلة التماس العذر ، وتأويل الكلام وإيجاد مخرج له ، ومن أبرز من سعى في تأويل كلام الحلاج الإمام الغزالي في " مشكاة الأنوار " و" المنقذ من الضلال" حيث اعتبر أن ما يُفهم منه حلولا ، أو وحدة الوجود هو مجرد وحدة الشهود لا غير ، وتأول العبارات نحو : أنا الله ، وسبحاني ، فليس المراد رتبة المعية ، وإنما المراد رتبة التبعية ، فنفي الوجود وارد على المعية لا التبعية ، وفي هذا يقول :" العارفون بعد العروج إلى إلى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق ، لكن منهم من كان له هذه الحال عرفانا علميًّا ، ومنهم من صار له ذلك حالً ذوقيـًا ، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية ، واستغرقوا الفردانية المحضة ، واستوفيت فيها عقولهم ، فصاروا كالمبهوتين فيه ، ولم يبق فيهم متَّسع ، لا لذكر غير الله ، ولا لذكر أنفسهم أيضـًا، فلم يكن عندهم إلا الله ،

---

[1] - البداية والنهاية (١٥٢/١١) ط. دار إحياء التراث . بيروت ١٤٠٨هـ. تحقيق علي شيري

[2] - شرح ديوان الحلاج (٧٣) . مرجع سابق .

فسكروا سكراً دفع دونه سلطان عقولهم ، فقال أحدهم : أنا الحق ، وقال الآخر : سبحاني ما أعظم شاني! وقال آخر : ما في الجبة إلا الله ، وكلام العشاق في حال السُّكر يُطوى ولا يُحكى ، فلما خفَّ عنهم سُكرهم ورُدُّوا إلى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في أرضه ، عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد ، بل شبه الاتحاد ، مثل قول العاشق في حال فرط عشقه : أنا من أهوى ومن أهوى أنا ."[1]

ونظراً لم يتمتع به الإمام الغزالي من مكانة عند الصوفية خصوصا والمسلمين بوجه عام ، فقد فتح الباب لمن بعده ، لا لمجرد التأويل، بل للتأليف للدفاع عن الحلاج وتبني أفكاره

• المرحلة الثالثة : وهي مرحلة التأليف في الدفاع عن الحلاج وتبني ما هو عليه ، وجعله غاية المريد التي لا يستغني عنها عارفٌ بالله سالك مسلك الصوفية، وقد مَثَّل هذه المرحلة ابن الفارض (٦٣٢هـ)، ومحيي الدين ابن عربي الطائي (٦٣٨هـ) في "فصوص الحكم "حيث سَطَّر فيه ما يُعقل وما لا يُعقل ،وما اتفقت الشرائع على بطلانه .[2] بل إن الحافظ السيوطي ألف كتابا يرد فيه على البقاعي سمَّاه " تنبيه الغبي إلى تبرئة ابن عربي"! ثم انتشر بعد ذلك تمجيد وإكبار أقوال الحلاج وابن الفارض وابن العربي وغيرهم وجعل حالتهم غاية المريد ، بل جَعْل الإنكار عليهم علامة الخذلان ، وبغض أولياء الرحمن ن ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إن المتأمل فيما ورد على لسان الحلاج من أقوال يجد أنه في كثير منها قد سد على نفسه باب كلِّ تأويل ، ومن هنا تعقب تاج الدين السبكي الإمام الغزالي فيما ذهب إليه من تأويل وميل للحلاج ، فقال – وإن كان في قوله شدة – :" ثم بدا له الانصراف عن طريق العلماء ودخل في غمار العمال ، ثم تصوف فهجر العلوم وأهلها ، ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج ، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين . "[3]

---

[1] - مشكاة الأنوار(٥٧) الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، حققه الدكتور أبو العلا عفيفي

[2] - الحضرمي أحمد طلبة :الحلاج : حقيقته وما هو عليه (٢٣) ط. مركز سلف للبحوث والدراسات.

[3] - طبقات الشافعية الكبرى (٢٤٣/٦) ط. هجر للطباعة والنشر والتوزيع، المحقق: محمود محمد الطناحي ،عبد الفتاح محمد الحلو

لقد كان الحلاج أجرأ القوم على الشطح ، وكان الشخصية الفلسفية الصوفية الأكثر إثارة في تاريخ التصوف حتى صار الناس فيه ما بين قادح ومادح ومتوقف فيه يفوض أمره وحقيقة حاله إلى الله ، وإن كان يُنكر أقواله التي لا مسوغ لتأويلها.

المبحث الثالث:

•المطلب الأول : الاتحاد ووحدة الوجود عند ابن عربي

لم يكن ابن عربي الطائي أقل شأنا من الحلاج في نسبة القول بالحلول والاتحاد إليه ، بل نُسب إليه أنه أول من أرسى قواعد القول بوحدة الوجود ،" ففي تاريخ التصوف الإسلامي تقترن فكرة "وحدة الوجود" باسم محي الدين بن عربي، الذي أكسب هذا المصطلح مضموناً جديداً يمكننا أن نرى فيه محاولة جديدة عند المتصوفة الإسلاميين لمعالجة مُحالية الجمع بين الوحدة المطلقة للذات الإلهية وعدم انفصالها عن العالم.

وفي فلسفة ابن عربي الصوفية تتجلى واضحة نظرياته في وحدة الوجود التي تولدت عنها نظريته في وحدة الأديان، ونظريته في الإنسان الكامل، ضمنَّها كل مؤلفاته، وبخاصة "فصوص الحكم" و"الفتوحات المكية"(١)

فالله تعالى يظهر ويتجلى في صور المخلوقات المختلفة ، فهو عند القائلين بالوحدة الظاهر في جميع المظاهر ، "لا يتجلى إلا على نفسه ، ولكن تُسمى تلك اللطيفة الإلهية عبداً باعتبار أنها عوض عن العبد، وإلا فلا عبد ولا رب ، إذ بانتفاء اسم المربوب انتفى اسم الرب ، فما ثَمَّ إلا الله وحده!!"(٢)

يقول ابن عربي في الفصوص :" فإن العارف من يرى الحق في كلِّ شيء ، بل يراه عين كلِّ شيء !"(٣) فابن عربي من محققي القول بوحدة الوجود لا الحلول ولا الاتحاد ، فهو ينكر على من يقول بالحلول والاتحاد كما سبق ، وإن كان يرد في كلامه لفظ الاتحاد ، فمراده وحدة الوجود ، يقول شيخ الإسلام رحمه الله :" وإن كان محققو هؤلاء لا يرضون بالحلول الذي يقتضي اثنين حالاً ومحلاً بل عندهم ما ثم إلا وجود واحد ومنهم من يقول هو الوجود المطلق وإن كان المطلق لا وجود له في الخارج إلا معينًا مخصَّصًا فيكون هو

[1] - بدران بن الحسن (أستاذ مشارك بجامعة حمد بن خليفة) فلسفة وحدة الوجود بين ابن عربي واسبينوزا. الشبكة العنكبوتية.
[2] - الجيلي :" الإنسان الكامل (٦٢/١)، ابن عربي الطائي : المسائل (٤٨،٩٣)
[3] - الفصوص (١٩٢/١)

وجود المخلوقات بعينه ومنهم من يصرح بذلك فيقول هو عين الموجودات لا يفرق بين ثبوت ووجود ولا بين مطلق ومعين فهؤلاء يجعلونه نفس المخلوقات."(١)

لقد كثرت نصوص ابن عربي المصرحة بأنه ما ثَمَّ إلا الله ،فهو " الساري في مسمى المخلوقات والمبدعات ، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صحَّ الوجود ن فهو عين الوجود ، فهو على كل شيء حفيظ بذاته ، ولا يؤوده حفظ شيء ؛ فحفظه تعالى للأشياء كلِّها حفظ لصورته أن يكون الشيء غير صورته ، ولا يصح إلا هذا ، فهو الشاهد من المشهود والمشهود من الشاهد ، فالعالم صورته ، وهو روح العالم المدبر لها وهو الإنسان الكبير (٢)"!

وقال في أبيات مشهورة له تنضح بهذه العقيدة الباطلة :

الرب حق والعبد حقـــــــــ ... يا ليت شعري من المكلف؟

إن قلت عبد فذاك ميتـــــــــــــ ... أو قلت رب أنى يكلف؟

فمن العابد؟ ومن المعبود؟ ومن الآمر؟ ومن المأمور؟ قال شيخ الإسلام وهو يشرح هذين البيتين ، ويبين فساد معناهما :" فإذا قال القائل: الرب حق والعبد حق: فإن أراد به أن هذا الحق هو عين هذا: فهذا هو الاتحاد والإلحاد وهذا هو الذي ينافي التكليف؛ وإن أراد أن العبد حق مخلوق خلقه الخالق: فهذا مذهب المسلمين وذلك لا ينافي أن يكون الخالق ممكنا للمخلوق كما أنه خالق له. وقوله: إن قلت عبد فذاك ميت. كذب؛ فإن العبد ليس بميت بل هو حي أحياه الله تعالى كما قال تعالى: {كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم} ؟ والله لا يكلف الميت وإنما يكلف الحي؛ وإذا قيل إنه أراد بقوله ميت أنه باعتبار نفسه لا حياة له. قيل: تفسير مراده بهذا فاسد لفظا ومعنى أما اللفظ فلأن كلامه لا يقتضي ذلك وأما المعنى فلأنه إذا فسر ذلك لم يناف التكليف. فإذا كان ميتا – لولا إحياء الله – وقد أحياه الله فقد صار حيا بإحياء الله له؛ وحينئذ فالله إنما كلف حيا لم يكلف ميتا وأما أقوال إخوان

---

١ - بيان تلبيس الجهمية (٤٧/٥) ط. مجمع الملك فهد .

٢ - الفصوص (١١١/١) ومثل هذه العبارات من ابن عربي يصعب حملها على قول من قال : إنه أراد بذلك ظهور آثار أسماء الله وصفاته في خلقه كما هو رأي بعض أساتذتنا .

الملاحدة والمحامين عنهم أنه قال: ليت شعري من المكلف؟ مع علمه بأن التكليف حق فحار لمن ينسبه في القيام به. فقال: إن قلت عبد فذاك ميت. والميت: ليس له من نفسه حركة؛ بل من غيره يقلبه كما يشاء. وكذلك العبد – وإن كان حيا – فإنه مع ربه كالميت مع الغاسل ليس له من نفسه فعل بغير الله. فيقال لهم: هذا العذر باطل من وجوه:"[1] ثم أخذ يذكر وجوه بطلان هذا العذر.

ومثله من مشهور شعره :

فيحمدني وأحمده ..... ويعبدني وأعبده

في حال أقرّ به ....وفي الأعيان أجحده

فيعرفني وأنكره .... وأعرفه فأشهده

فوقتا يكون العبد رباّ بلا شك ..... ووقتا يكون العبد عبدا بلا إفك

فإن كان عبداً كان بالحق واسعـًا ...... وإن كان ربـًا كان في عيشة ضنك[2]

ما ثَمَّ عبد وب ، فباعتبار الوجود أقر به ، وفي الكثرة والتعيينات المتعددة أجحده ، لأنه واحد وهي متعددة كثيرة ، فيعرفني هو بكثرة أسمائه المتعددة فيَّ ، وأعرفه أنا بوجوده الفائض عليَّ فأشهده !!

ويقول في الكلمة الشيثية في الفصوص:" فهو مرآتك في رؤيتك نفسك ، وأنت مرآته في رؤية أسمائه وظهور أحكامها ، ولست سوى عينه ، فاختلط الأمر وانبهم معناه ."[3]

يؤكد ابن عربي هنا أن العالم بالنسبة إلى الله كالمرآة التي تنعكس عليها الصور، فالعالم هو المرآة الذي تنعكس عليها الصفات الإلهية، غير أنه يبقى وجودا معطلا ومبهما ما لم يكن هناك المبدأ النوراني اللطيف الذي أتم به الله الوجود، وبه حقق حقيقته، ذلك أن آدم هو العين التي تبصر الحقائق الإلهية المنطبعة في مرآة الوجود، ولذلك يقول أن آدم "للحق بمنزلة إنسان العين من العين الذي يكون به النظر، وهو المعبر عنه بالبصر، فلهذا سمي

[1] - مجموع الفتاوي (١٦١/٢)
[2] - الفصوص (٨٣/١)
[3] - المسائل لابن عربي (٤١)

إنسانا، فإنه به ينظر الحق إلى خلقه فيرحمهم. فهو الإنسان الحادث الأزلي والنشء الدائم الأبدي والكلمة الفاصلة الجامعة"، وهذا لا يعطي وجودا منفصلا للعالم أو للإنسان، بل وجوده في حكم العدم، لأنه "ثبت عن المحققين أنه ما في الوجود إلا الله، ونحن وإن كنا موجودين، فإنما وجودنا به... ومن كان وجوده بغيره فهو في حكم العدم"، كما أن الله تعالى –كما يرى ابن عربي– لولا ظهوره في أعيان الخلق وتجليه فيهم لما عرفناه، وكأنه يقول بحلول الحق في الخلق ليُعرف، يقول: "ولولا ظهور الحق في أعيان الخلق ما كانت صفاته وأسماؤه، ولما عرفناه، لأننا إنما نعرفه عن طريق هذه الأسماء والصفات المتجلية في الكون، ولكن ثنائية الحق والخلق ثنائية موهومة زائفة لأنها من أحكام العقل والنظر والحس، والعقل لا يقوى على إدراك الوحدة الشاملة ولا يستطيع إلا أن يدرك التعدد والتكثر"[1]

ومن أقواله القبيحة التي سدَّ ت كل سبيل لتأويلها قوله في تفسير قول الله تعالى :" وخلق منها زوجها " :" فما نكح سوى نفسه !! فمنه الصاحبة والولد والأمر واحد في العدد !!"[2] ، فما ثم ذات ثابتة غيره أصلا بل هو ذام نفسه بنفسه ولا عن نفسه بنفسه وقاتل نفسه بنفسه وهو المرزوق المضروب المشتوم وهو الناكح والمنكوح والآكل والمأكول وقد صرحوا بذلك تصريحا بينا ولا حول ولا قوة إلا بالله .[3]

[1] - فلسفة وحدة الوجود بين ابن عربي واسبينوزا . مرجع سابق ، وما بين المعقوفات كلام ابن عربي ، والحق أنه يحتمل التأويل بأننا من آثار صفاته ، وليس الخلق هم عين الحق .

[2] - فصوص الحكم (٧٨/١)

[3] - ابن تيمية : مجموع الفتاوى(١٥٢/١)

• المطلب الثاني : مدى صحة نسبة القول بوحدة الوجود لابن عربي.

إذا كان الخلاف قد وقع في حقيقة ما عليه الحلاج : أهي ولاية ، أم زندقة وخروج عن جادة الصوفية؟ فإن حال ابن عربي كان وما زال موضع خلاف بين من نظروا في كلامه :

- فمنهم من نصَّ على تكفيره ، ومروقه من الدين بناء على ما جاء في فصوص الحكم خاصة، والفتوحات وغيرهما مما سبق نقله ، وممن صرَّح بتكفير ابن عربي أبو حيان الأندلسي في تفسيره ، وسراج الدين البلقيني ، والعز بن عبد السلام ، وابن الجزري الشافعي ، والحافظ السخاوي ، وقد ألَّف في بيان حقيقة أقوال ابن عربي وحكم العلماء عليها مجلداً ضخماً سماه "القول المُنبي عن ترجمة ابن عربي" ، وملا علي القاري ، بل قد حكم ابن المقري بكفر من شك في طائفة ابن عربي ،(١)وقال الحافظ العراقي :" لا شكَّ في اشتمال "الفصوص" على الكفر الصريح الذي لا يُشكُّ فيه ، وكذلك فتوحاته المكية ، فإن صحَّ صدور ذلك عنه ، واستمر عليه إلى وفاته فهو خالد مخلد في النار بلا شك."(٢)

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية ممن يحسن الظن به أول أمره ، وفي هذا يقول :" وهؤلاء موهوا على السالكين : التوحيد – الذي أنزل الله تعالى به الكتب وبعث به الرسل – بالاتحاد الذي سموه توحيدا وحقيقته تعطيل الصانع وجحود الخالق . وإنما كنت قديما ممن يحسن الظن بابن عربي ويعظمه : لما رأيت في كتبه من الفوائد مثل كلامه في كثير من " الفتوحات " " والكنة " " والمحكم المربوط " " والدرة الفاخرة " " ومطالع النجوم " ونحو ذلك . ولم نكن بعد اطلعنا على حقيقة مقصوده ولم نطالع الفصوص ونحوه وكنا نجتمع مع إخواننا في الله نطلب الحق ونتبعه ونكشف حقيقة الطريق فلما تبين الأمر عرفنا نحن ما يجب علينا"(٣)

- ومنهم من يجعله الشيخ الأكبر ، والقطب ، والغوث ، ومن أكابر الأولياء ، وممن كان كذلك الفيروزابادي صاحب القاموس حيث أكثر من نقل كلام ابن عربي في شرحه على البخاري ، وألف

---

١ - لتوثيق أقوال هؤلاء : ابن عربي وموقف علماء المسلمين منه (٤١) مرجع سابق.
٢ - محمود شكري الألوسي :جلاء العينين في محاكمة الأحمدين(٨٧) .
٣ - مجموع الفتاوى (١٩٤/١)

كتابا في الرد على ابن خياط أحد خصوم ابن عربي ، ومما قاله في ابن عربي " هو عُباب لا تكدره الدلاء ، وسحاب لا تتقاصر عنه الأنواء ، وكانت دعواته تخترق السبع الطباق ، وتفترق بركاته فتملأ الآفاق."(١) وعبد الوهاب الشعراني صاحب الطبقات الكبرى ، وعبد الرؤوف المناوي صاحب فيض القدير ، وعبد الغني النابلسي ، وغيرهم

ممن اجتهد في تأويل كلامه ، وحمله على محامل يراها سائغة ، بل هي عين الحق (٢) ، وكل كلمة قالها أو كتبها استطاع الصوفية– على حد قول بعضهم– أن يجدوا لها مُتأولاً شرعيا من غير تكلف :(٣)

فوحدة الوجود لدى الصوفية ومنهم ابن عربي–على قول من تأول لهم – ما هي إلا نتاج لطول تأمل في آيات الله وآلائه التي أبدعها فبدا عليها أثر صفاته ، فما هي إلا من تأثير المؤثر في الأثر ، فالصوفية يفرقون بين الله والعالم ، لكنهم يرون أن هذا العالم لا وجود له حقاً ، وإنما الوجود الحق لله تعالى ، فليس هو العالم ولا العالم هو ، فالأمر كما قال القائل :

فليس إلا الله والمظاهر ....لجملة الأسماء وهو الظاهر

والذي أوقع هذا اللبس والظن بأن الصوفية يخلطون بين القديم والمحدث هو كثرة تعبير الصوفية عن هذه الحقيقة ، فلابد من ضرورة مراعاة الفرق بين فهم الصوفية وغيرهم لوحدة الوجود ، ولهذا أفرد الشعراني في كتاب اليواقيت والدرر مبحثاً خاصاً ينفي فيه عن ابن عربي دعوى الحلول والاتحاد والوحدة مستشهدا بكلام له من الفتوحات .(٤) ، ويعلق المقري على قول ابن عربي:

يا من يراني مجرما .... ولا أراه آخذا

كم ذا أراه منعماً ....ولا يراني لائذا

" من هذا وشبهه تعلم أن كلام ابن عربي مؤول ، وأنه لا يقصد ظاهره ، وإنما له محامل تليق به ، وكفاك شاهدا هذه الجزئية الواحدة ، والله سبحانه أعلم بكلام أوليائه."(٥)

---

[١] - نفح الطيب (١٧٦/٢) دار صادر- بيروت – لبنان ١٩٩٧ ، حققه إحسان عباس

[٢] - وقد وقفت على كتاب لنصر حامد أبي زيد يتأول فيه كلام ابن عربي بناء على ما أسماه "جدلية الظاهر والباطن" ويجعله غاية الحق، انظر " هكذا تكلم ابن عربي" ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٠م

[٣] - عبد الحفيظ فرغلي : محيي الدين بن عربي سلطان العارفين (١٦٢) ". الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧م

[٤] - اليواقيت والجواهر (١٥)

[٥] - نفح الطيب (١٦٨/٢) مرجع سابق

المبحث الرابع

نقض عقيدة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود

بعد أن علمنا المراد بهذه العقائد الثلاثة ، ووقفنا على أقوال كلٍّ من الحلاج وابن عربي ، والخلاف الذي وقع في صحة نسبة هذه العقائد لهما ، بقي أنْ نبين :

أولا: مدى مخالفة هذه العقائد لتوحيد العبد.

ثانيا : لازم القول بهذه العقائد.

أولاً: مدى مخالفة هذه العقائد لتوحيد العبد:

إن عقيدة الموحدين ، ومذهب أهل السنة والجماعة الذي ينتسب إليه الزهاد الأوائل ومن سار على نهجهم مبناهما على أن الله تعالى بائن من خلقه لا يُشبهه شيء من مخلوقاته ، له الأسماء الحسنى والصّفات العليا" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" ، فمن اعتقد أن الله تعالى يتحد بمخلوقاته أو يحل فيهم، أو أن العبد عين الرب ، والرب عين العبد فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاء بأنكر مما جاءت به النصارى الذين قالوا: إن الله اتحد بعيسى ابن مريم ، والله تعالى قد قال في حقهم :" لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ" فكيف بمن جعل الباري سبحانه وتعالى متحداً بجميع مخلوقاته ، بل جعله عين مخلوقاته.

دلت النصوص الشرعية على الفرق بين العبد والرب ، فالله تعالى هو خالق الكائنات وموجدها من العدم كما قال تعالى "اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ" وقال تعالى :" وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ" فهذه الآيات وغيرها تثبت أن الله هو خالق الخلق ، فإما:

- أن يكون الله خلق نفسه ، ولا يجوز لأنه واجب الوجود بذاته تتنزه نفسه أن تكون مخلوقة مربوبة ، والشيء لا يخلق نفسه ، إذ فاقد الشيء لا يعطيه .

• وإما أن يكون الرب قائما بنفسه خالقاً غيره من المخلوقات ، وهذا الخلق تنزه الرب عن أن يحل به شيءٌ من الحوادث المخلوقة ، فلم يبق إلا أن الوجود ليس واحداً ، بل فيه رب ومربوب وخالق ومخلوق .

دلت النصوص كذلك على أن الله تعالى أمر بعبادته وحده لا شريك له ، ومنها قوله تعالى "يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " ، وأخبر سبحانه أنه ما أرسل رسولاً إلا من أجل هذه الغاية "وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ" ، وقال تعالى :" وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ " فهذه النصوص وغيرها تثبت عابداً ومعبوداً ، فليس الرب هو العبد كما يقول ابن عربي لا في الحقيقة ولا المجاز ، ولا يصح وصف الرب تعالى بالعبودية ، فلم يبق إلا التفريق بين العبد الذي يلازمه الخضوع والتضرع والتذلل ، والرب الغني الحميد القوي العزيز.

قال الإمام الشوكاني :" هذه فاتحة الكتاب قد اشتملت على أكثر من عشرة أدلة مبطلة لهذه المقالة؟ لأن الله جل جلاله قد أثبت فيها حامدا ومحمودا وربا ومربوبا وراحما ومرحوما [١١] ومالكا ومملوكا وعابدا ومعبودا ومستعينا ومستعانا به وهاديا ومهديا ومنعِما ومنعَما عليه وغاضبا ومغضوبا عليه وغير ذلك."([١])

ثانيا : لازم القول بهذه العقائد.

إن تصحيح القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود يلزم منه لوازم خطيرة تعود على أصل الدين الذي جاء به سائر المرسلين بالإبطال ، ومن ذلك:

• تجويز الشرك وعبادة الأصنام ، إذ الكفر والتوحيد عند هؤلاء سواء ؛ لأن كل معبود هو الله !! قال شيخ الإسلام :" قلت لبعض من خاطبته من شيوخ هؤلاء : قول الخليل : { إنني براء مما تعبدون } ممن تبرأ الخليل أتبرأ من الله تعالى وعندكم ما عبد غير الله قط ؟

[١] - الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني (١٠٠٧/٢) ط. دار الجيل بيروت. تحقيق صبحي حلاق.

والخليل قد تبرأ من كل ما كانوا يعبدون إلا من رب العالمين وقد جعله الله لنا وفيمن معه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر"(١)

إذا فهمنا غاية هذه العقائد الباطلة فلا نعجب بعد ذلك عندما نقرأ لابن عربي (ثم قال هارون لموسى عليه السلام: (إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل) فتجعلني سبباً في تفريقهم، فإن عبادة العجل فرقت بينهم، فكان منهم من عبده اتباعاً للسامري وتقليداً له، ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع إليهم موسى فيسألونه عن ذلك، فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه، فكان موسى أعلم بالأمر من هارون، لأنه علم ما (اسم موصول) عبده أصحاب العجل، لعلمه أن الله قضى ألا يعبد إلا إياه.. وما حكم الله بشيء إلا وقع.. فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء!!"(٢)

- يلزم من ذلك أيضاً إبطال دعوة الرسل ، وتخطئة الأنبياء في إنكارهم على عباد الأصنام ؛إذ كل من عبد شيئاً من المخلوقات فقد عبد الله وحده ، وهذا فيه إفساد لمعنى لا إله إلا الله ، فإنه جعل معناها : لاإله موجود إلا الله ، وأصبح كل معبود هو الله ، وهذا من أبطل الباطل ، إذ إن كلمة التوحيد تضمنت نفياً وإثباتا لابد من الجمع بينهما حتى يتحقق توحيد العبد .

- يلزم منه كذلك وصف الله تعالى بكل ما تنزه عنه من المعائب والنقائص ، فالرب عندهم كما مضى هو السارق والمسروق والناكح والمنكوح ، والعابد المصلي والراهب في الكنيسة ، وهو الخنزير والكلب تعالى الله عما يقول الظالمون المفترون عليه علواً كبيراً، وفي هذا يقول قائلهم :

ما الكلب والخنزير إلا إلهنا ....وما الله إلا راهب في كنيسة.

ومقتضى كلامهم أنَّ كل كلام من الخلق هو كلامه كالشرط والكفر ، والكذب والزور سواء كان نثراً أو شعراً ؛ فكلُّ كلامٍ في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه !! كما يقول ابن عربي في الفتوحات .

---

[١] - مجموع الفتاوى (٢٠١/١٣)
[٢] - فصوص الحكم (١٩٢)

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في نونيته واصفاً حال ابن عربي ومن على شاكلته من الاتحادية:

وأتت طوائف الاتحاد بملة ... طمت على ما قال كل لسان

قالوا كلام الله كل كلام هذا الـ ... ـخلق من جن ومن إنسان

نظما ونثرا زوره وصحيحه ... صدقا وكذبا واضح البطلان

فالسب والشتم القبيح وقذفهم ... للمحصنات وكل نوع أغان

والنوح والتعزيم والسحر المبـ ... ـين وسائر البهتان والهذيان

هو عين قول الله جل جلاله ... وكلامه حقا بلا نكران

هذا الذي أدى إليه أصلهم ... وعليه قام مكسح البنيان

إذ أصلهم أن الإله حقيقة ... عين الوجود وعين ذي الأكوان

فكلامها وصفاتها هو قوله ... وصفاته ما ها هنا قولان

وكذاك قالوا إنه الموصوف بالضـ ... ـدين من قبح ومن إحسان

وكذلك قد وصفوه أيضا بالكما ... ل وضده من سائر النقصان[1]

• يلزم كذلك من هذا القول تصحيح جميع الأديان الباطلة ، والقول بوحدة الأديان ، فما ثم معبود إلا الله ، فيُسوى في ذلك بين من يعبد الحجر والبقر ، ومن يعبد الإله الحق وحده لا شريك له ، وفي هذا يقول ابن عربي:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة ....فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف..............وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنّى توجهت ....ركائبه فالحب ديني وإيماني

وكل هذا بسبب الحب والعشق الإلهي الذي –بزعمه– جعله يراه في كل شيء!!فهي دعوة خبيثة ملمسها ناعم ولكنها تحمل السم الزعاف في أحشائها.

[1] - الكافية الشافية (٥٥) ط. مكتبة ابن تيمية. القاهرة. الطبعة الثانية ١٤١٧هـ

المراجع والمصادر

١. ابن تيمية :بيان تلبيس الجهمية ، ط. مجمع الملك فهد . الرياض . ١٤٢٦هـ
٢. ابن قيم الجوزية :الكافية الشافية ، ط. مكتبة ابن تيمية. القاهرة. الطبعة الثانية ١٤١٧هـ
٣. ابن كثير : البداية والنهاية ، ط. دار إحياء التراث . بيروت ١٤٠٨هـ. تحقيق علي شيري
٤. أبو الفيض المنوفي: جمهرة الأولياء، مطبعة المدني . القاهرة .
٥. أبو اليزيد العجمي : في التصوف الإسلامي ، ط. دار السلام . القاهرة .الأولى .١٤٢٨هـ
٦. أرنولد نيكلسون : الصوفية في الإسلام ، ط. مكتبة الخانجى بالقاهرة. ترجمة: نور الدين شريبه
٧. أيمن حمدي: قاموس مصطلحات الصوفية ، ط. دار قباء . القاهرة. تاريخ النشر ٢٠٠٠م
٨. بدران بن الحسن (أستاذ مشارك بجامعة حمد بن خليفة) فلسفة وحدة الوجود بين ابن عربي واسبينوزا. الشبكة العنكبوتية
٩. تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ط. هجر للطباعة والنشر والتوزيع، المحقق: محمود محمد الطناحي ،عبد الفتاح محمد الحلو
١٠. الجرجاني : التعريفات(٩٢) ط. دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م
١١. الجيلي :الإنسان الكامل ، ط. دار الشروق . القاهرة.
١٢. الحضرمي أحمد طلبة :الحلاج : حقيقته وما هو عليه ، ط. مركز سلف للبحوث والدراسات.
١٣. الحلاج : طاسين الأزل والالتباس من كتاب الطواسين ، نقلا عن الأعمال الكاملة للحلاج ، ط. مكتبة الإسكندرية .ت. قاسم عباس
١٤. الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ط. بشار عواد
١٥. دغش العجمي ، ابن عربي : عقيدته وموقف علماء المسلمين منه. ط. مكتبة أهل الأثر. الكويت . ط. الثانية١٤٣٤ هـ

١٦. الشوكاني : الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني، ط. دار الجيل بيروت. تحقيق صبحي حلاق.
١٧. عبد الحفيظ فرغلي : محيي الدين بن عربي سلطان العارفين ، ". الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧م
١٨. الغزالي : مشكاة الأنوار، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، حققه الدكتور أبو العلا عفيفي.
١٩. كامل مصطفي الشيبي : شرح ديوان الحلاج، ط. دار الجمل . بغداد .
٢٠. محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، مصطلحات في كتب العقائد، ط. دار ابن خزيمة. بيروت. الأولى
٢١. المقري : نفح الطيب ، دار صادر- بيروت – لبنان ١٩٩٧ ، حققه إحسان عباس
٢٢. نصر حامد أبو زيد : هكذا تكلم ابن عربي ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧م

فهرس الموضوعات